المحاضرة الثانية

أدب الطفل: أهميته، وظائفه، وأهدافه

1- أهمية أدب الطفل:

إن كلّ أمة تنظر إلى أطفالها على أنهم رجال الغد، وعليهم ستعتمد في بناء غدِها، هي أمّة لا محالة ستظفر بالمستقبل الزاهر، فتعمد إلى تربيتهم والاهتمام بتنشئتهم التّنشئة الصّالحة، وإعدادهم لأداء الأدوار التي سيتحمّلونها، وإنّ سرّ اهتمام الإسلام بتربية الأبناء منذ المرحلة الجنينية حتى المراحل المتأخرة من الطّفولة لهو مكمن ذلك الاهتمام؛ وقد أعانت البحوث والدراسات التربوية والنّفسية على النهوض بذلك "لتحديد احتياجات الطّفل، وتصوّر اهتماماته التي يجب أن تُلبّى، ومشكلاته التي نحاول أن نعينه على تجاوزها، وتبصيره بحلولها ذاتيا، أو بمعاونة غيره، ومستوى خياله الذي يجب أن ينمو، والقيم والمثل الإسلامية التي يجب أن نؤصّلها ونغرسها في نفسه، ومواهبه التي يمكن صقلها وإثراؤها"[1] فأنشئت من أجل ذلك عديد المؤسسات محلّيا ودوليا والتي حملت على عاتقها العناية بالطّفل بتوظيف وسائل الإعلام، والاتّصال، والوسائط التكنولوجية في التربية والتّعليم والمناشط المختلفة التي تتمركز حول الطّفل.

ومن ثمّ تجلّى أدب الأطفال كوسيلة إنسانية حضارية؛ ليحقّق الخدمة الحياتية للطّفل، بتقديم الغذاء النّفسي، والتكيّف الاجتماعي، والتشبّع الفكري، "من خلال ما يتوافق مع استعدادات الطّفل وميوله نحو اللّعب، والاكتشاف بنفسه، وترك الحرية له في اختيار ما يجذبه، وما يحبّه كي لا تتمّ عملية التّطبيع، أو التّثقيف بشكل ضاغط يكبت الميول، أو بشكل تلقيني وعظي ينفّر"[2] وبذلك تتحقّق له المتعة، وتتوسّع قدراته وثقافته، بتقديم المعارف والمعلومات والمهارات والقيم، التي تعين الطّفل على التكيّف مع المستقبل، والتّفكير العلمي، والقدرات الابتكارية والابداعية اللازمة لمواجهة المتغيّرات الجديدة، وهي رسالة يحملها أدب الطّفل، لإرساء "الدّعائم والقواعد الأساسية، التي يبني عليها الطّفل التنظيم العام لشخصية

---

[1]- سعد أبو الرّضا: النص الأدبي للأطفال، ط1، دار البشير للنّشر والتوزيع، عمان، 1993، ص:22

[2]- ذكاء الحر: الطّفل العربي وثقافة المجتمع، (د، ط)، دار الحداثة، بيروت، 1984، ص:33

الكبير"[1] من خلال بناء شخصيته الصغيرة وتكوينه وإعداده للمستقبل؛ ذلك أن الإنسان في مراحله الأولى يحتاج إلى أساليب تربوية وتعليمية خاصة تتناسب وتطور المراحل العمرية النمائية، وأدب الأطفال هو الوسيلة الناجعة في تكوين الطفل روحيا ونفسيا وعقليا، وإكسابه الخبرات المختلفة المعينة له في الحياة، حاضره ومستقبله.

ويمكن إجمال أهمّية أدب الطّفل بالنّسبة للطّفل بوصفه المتلقّي لهذا الأدب من خلال الآتي[2]:

- تنمية الذّوق الفنّي والجمالي من خلال الاستماع للأغاني والأناشيد الطّفلية.
- تنمية الخيال العلمي من خلال الاستماع والقراءة للقصص والحكايات المختلفة.
- تنمية الجانب العاطفي، والاجتماعي، والعقلي، وجوانب الشّخصية.
- الاسهام في تنمية القدرات اللّغوية، وإثراء الرّصيد اللغوي، وحسن القراءة والاستماع والفهم.
- التّسلية والإحساس بالمتعة، وشغل الوقت، وتنمية الهوايات.
- التعرّف على الشخصيات الأدبية، والتّاريخية، والعلمية، والسّمو بالقيم.
- المساعدة في غرس حب الوطن، من خلال قصص البطولات، وأخبار المشاهير، ورجال التّاريخ، وترسيخ الشعور بالانتماء للأمة والعقيدة.
- إثراء الثّقافة، وإشباع الرّغبة في المعرفة، واكتشاف البيئة المعيشة.
- تنمية مهارة الانتباه، وحسن الإصغاء والتّركيز.
- بناء العقل السّليم من خلال المضامين الهادفة.

فهذه الأهمية الواضحة لأدب الأطفال جعلت منه مجالا موضوعاتيا وقيميا لكثير من الكتّاب والشعراء والأدباء في عالمنا، "وقد أخذ على عاتقه مسايرة الركب الحضاري والتطور الأدبي بأشكاله وألوانه المختلفة، فقد آمن كتّابٌ بأدب الأطفال، وضرورة التركيز عليه، وإظهاره بشكله ومميزاته، حتى يقف إلى جانب أدب الكبار، وحتى يسهم في خدمة الجيل الصاعد، الذين هم أطفال اليوم ورجال الغد المرتقب، فهم بناة المستقبل المأمول. ومنهم أدباء ذاك المستقبل وكُتّابه"[3].

---

[1]– محمد عماد الدين إسماعيل: الأطفال مرآة المجتمع، سلسلة عالم المعرفة، العدد99، المجلس الوطني للفنون والثقافة والآداب، الكويت، 1986، ص:7.

[2]– ربحي مصطفى عليان: أدب الأطفال، ص.ص:71، 72.

[3]– عبد الفتّاح أبو معال: أدب الأطفال دراسة وتطبيق، ط2، دار الشروق للنشر والتوزيع، عَمَّان، 1988، ص:20.

2- وظائف أدب الطفل:

يلعب الأدب بصفة عامة دورا حضاريا في حياة المجتمعات؛ فيعمل على توعية أفراده بالقضايا الاجتماعية والفكرية، إذا ما صاغ الأديب أدبه في قوالب فنّية ممتعة، وأدب الطفل رافد جيد في هذا المجال، على اعتبار أن الطفل أكثر قابلية للتأثير والانفعال من الكبير؛ لذلك اهتم علماء النفس في العصر الحديث بحاجات الأطفال، وبينوا كيفية إشباعها عن طريق هذا الرافد، وفي ظل ذلك تعددت وظائفه تبعا لهذا التأثير والانفعال وفق الآتي:

أ - **الوظيفة الاجتماعية:** تعد الوظيفة الاجتماعية إحدى أبرز وظائف أدب الطفل الحديث، فهذا الأخير يشارك في التنشئة الاجتماعية وتكييف الطفل معها، انطلاقا من الأسرة إلى المدرسة، إلى الحياة العامة؛ وقد تنبّه أصحاب التوجّه التربوي الحديث في أدب الطفل إلى أهمية هذه الوظيفة، فراعوا في مضامين أدبهم للأطفال توازي البعد الاجتماعي والبعد التربوي، بالتعبير الواضح والمركز عن بيئات الطفل الاجتماعية المختلفة بأبعادها الجغرافية وقيمها الثقافية، داخل المجتمع الكبير، بإنشاء التّوأمات بين المناطق؛ لتقريب الأطفال من بيئاتهم، ونشر الوعي الاجتماعي بينهم في شكل مثاقفة مبكرة.

وتتجلى أيضا الوظيفة الاجتماعية لأدب الطفل في تعزيز معرفة الطفل لحقوقه وواجباته الاجتماعية، فأشكاله الفنية تتناول العلاقات الاجتماعية في الأسرة أو المدرسة، أو المجتمع، وفي هذه العلاقات نجد عدة ألوان من القيم والواجبات الاجتماعية، والحقوق والآداب العامة التي يستفيد منها الطفل ويطبقها في بيئته، فتتحول عنده إلى نماذج خيّرة تعوّده على النظام والانضباط، وتهذّب حريته الشخصية، ومن ثمّ يقلدها ويحاكيها وقد يعبر عنها في رسوماته وتعابيره، وهذا دليل تأثره وانفعاله.

ب- **الوظيفة النفسية:** وتتجلى الوظيفة النفسية في قدرة أدب الطفل على ضبط انفعالات الطفل ومشاعره من خلال الصور الإيجابية التي يتلقاها في مضامين هذا الأدب، مما يساعده على إيجاد التوازن النفسي لديه، وحمايته من العلل والعقد النفسية؛ وتوجيهه إلى الكيفيات المختلفة لحل المواقف التي يتعرض لها في حياته، بالتحلي بالشجاعة الأدبية، والتملص من أسباب الخجل والاضراب والخوف والمشاعر المكبوتة، بالحوار والمحادثات الشفوية، والمناقشة والكتابة والإلقاء والنطق، والقراءة الجهرية، والتعبير عن النفس لإثبات الذات.

إنّ الطفل يتلقف الخبرات عبر حواسه وفكره؛ ويتشكل لديه التراكم الوجداني بما فيه من انفعالات ومشاعر وعواطف، وكل ذلك ينعكس لا محالة على سلوكه؛ إذا ما أحسن الأديب الذي يكتب للأطفال أن يملأ قلب الطفل بالأمل والثقة والمحبة والفرح، دون أن يصوّر له الجمال في كل شيء، ففي الحياة موت وحزن وبكاء ودموع، والطفل ليس بمعزل عنها، ويجب الإشارة إلى ذلك؛ لكن بحذر شديد؛ لأن التوازن النفسي قضية معقدة جدا في عالم الطفولة، تشارك الأدب فيها عوامل أخرى مؤثرة، كالأوضاع الأسرية، والأوضاع الاجتماعية، وصحة الطفل، وعلاقات الصحبة، والقدوة التربوية، وأدب الطفل الواعي يقلل من حدة تأثير هذه العوامل، حتى يحظى الطفل بالتوازن النفسي المطلوب، برسم معالم طريق الخير، والتعريف بمواطن الصواب من الخطأ، وبناء منازل السعادة وهدم كهوف الشقاوة.

ج- الوظيفة التعليمية: تتداخل المضامين التعليمية مع المضامين التربوية والمضامين الاجتماعية وذلك لارتكاز "كل منها على توجيه الطفل وحفزه بشكل تربوي، إلى السلوك السليم، وإلى التحلي بالخلق الكريم، من خلال ربطه بقضية ما، ثمّ توجيهه إلى أخذ الإيجابيات منها"[1] لإيصاله إلى الهدف، والوقوف على حقائق الأشياء، ونزعم في هذا المقام أن وظيفة أدب الأطفال الأساسية هي وظيفة تعليمية بحتة ضمن المنظومة القيمية التي يكون فيها كاتب الأطفال ملمّاً إلماما حقيقياً بالمعرفة، ويتأتى ذلك بأبعاده العلمية والتعليمة والعملية والنفسية والفكرية والخلقية والجمالية؛ وإلا فهو معول هدم لعقل الطفل بما يقدّمه من أدب ممجوج ومشوّه يبعث بعقل الطفل إلى الركود عوضا عن اليقظة، ويحط من خياله بدلا عن السمو به.

وقد أثبتت الوظيفة التعليمية سيادتها في الراهن الثقافي الطفلي؛ بتحميل كاتب أدب الطفل مهمات الكشف عن كثير من حقائق الكون والطبيعة وما يتعلق بوجود الإنسان، عبر مضامين أجناس هذا الأدب، بطريقة مبسطة يتماهى فيها مع سذاجة الأطفال، ليعلمهم كيفية التعامل مع مشكلات الحضارة المعاصرة؛ التي تناقض في كثير من جوانبها فطرتهم السليمة حين يسبقون أعمارهم فيها. بما يمتعهم به من قيم على الصعيد الأخلاقي، وعلى صعيد القيم الفنية الرفيعة، عن طريق مخاطبة العقل ودفعه بمرونة إلى اتخاذ مواقف تجاه ذلك؛ مع ضرورة الابتعاد عن الوعظ المباشر، وتقييد الخيال بالتلقين؛ لأن ذلك يعيق فرصة استنتاج

---

[1]- عبير النوايسة: أدب الطفل في الأردن- الشكل والمضمون- الطبعة العربية، دار اليازوري العلمية، الأردن، 2004، ص: 117.

القيم المقصودة والنبش عن السلوك الإيجابي، وضرورة ذلك هي إتاحة الفرص للطفل ليتمكن من تحليل ما يتلقى وغربلته واستنتاج المرغوب فيه من قيم.

د- الوظيفة الجمالية: إنّ "الأدب فن؛ والفنّ موطن الجمال، وعلاقة الذوق بالفن قائمة على تنمية الإحساس بالجمال لدى الأطفال"[1] فأدب الأطفال، هو المولّد للمتعة واللذّة، في نفوس المتلقين الصغار، من خلال عناصره الفنية، وما ينطوي عليه من عوالم ثقافية وتاريخية ودينية، ففي مقابل متعة النفس والعقل بالجمال الذي يحيط بنا، ونراه في الطبيعة ومن خلال المخلوقات، هناك متعة الشعور في التعبيرات الأدبية التي تختزل التجارب والنهل من التراثيات عبر الأزمنة بلغة ذات قيم جمالية تحمل في ذاتها قيمتها؛ فهو سلاح جمالي يسوق المواقف والأفكار التربوية التعليمية للأطفال من خلال زينته اللغوية والشكلية والمضمونية، بألوانها وأضوائها وحركاتها وأصواتها وإيقاعاتها، عبر فنونه المختلفة، فأثناء إنتاج هذه الفنون، وجب على منتجها تنمية مشاعر الأطفال من خلال التّقانة الفنية المحبوكة بالاستفادة من أساليب البلاغة في التحبيب والتزيين الذي يجر الروح الطفولية إلى حالة التفاعل مع الأدب ومن ثمّ حدوث حالات من السرور والاستمتاع والتأثّر نحو الأهداف المرسومة. والوظيفة الجمالية هي معيار الحكم على الأدب بصفة عامة وتمييز راقيه من مشوّهه، من ضعيفه وغثّه.

فالجمالية في أدب الأطفال "تكمن في تلك الخصائص والسمات التي يحتويها الموضوع الجميل"[2] وبذلك فهي الرافد الأهم الذي يخاطب المشاعر، لما تحتويه من محسنات بديعية، وصور شعرية، ورموز مساقة، ونسيج لغوي جزل، وكلها تسهم في تحسين ذوق الطفل، وتنمية حسه الأدبي، وتهذيب نفسه نحو السمو عن المفاسد المحيطة به، مما يجعل نظرته إلى الحياة أكثر إيجابية بالمشاركة في النشاطات الحيوية والتعاون والإقبال على الحياة؛ للتخلص من العيوب الشخصية كالانطواء والعزلة، ومن العيوب الاجتماعية كالعدوانية والارتباك في المواقف.

3- أهداف أدب الطفل:

إنّ كل نشاط إنساني له غاية مرتبط بها، مهما كان توجّه الإنسان، مادام يفكّر بالعقل، ويتميّز بالإرادة والإدراك، وثمّة أهداف عند هذا النّشاط، وفي ديننا الحنيف كل عمل مرهون

---

[1]- أنور عبد الحميد الموسى: أدب الأطفال فن المستقبل، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2010، ص: 221.

[2]- وفاء إبراهيم: الوعي الجمالي عند الطفل (د، ط) الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 2002، ص: 15.

بغايته، ومرتبط بالنّية التي تكمن وراءه فترسم أهدافه وغاياته.

وأدب الأطفال نشاط إنساني له أهدافه وغاياته، فهو يخاطب فئة معيّنة من المجتمع هي فئة الأطفال، لغايات وأهداف محدّدة من حيث "التعدّدية الواضحة لطبيعة هذا اللّون من الأدب، ومن حيث وظائف التربية الوجدانية، والوظيفة الأخلاقية، والنّمو اللّغوي والانفعالي، والانفعال الإيجابي بالأدب عن طريق تنمية الحس الجمالي، أو التّذوّق الفنّي عند الطّفل، واكتسابه للقيم والعادات والسّلوكيات والمهارات اللّغوية والتّعبيرية، والميل إلى اللّغة وآدابها، ومن ثمّ التّعبير السّليم عن مطالبه وأفكاره، ومشاعره"[1]، وهنا وجب توظيف العناصر السّابقة لتناسب التوجّهات العقلية والإدراكية للطّفل، حتى يتفاعل مع النّص ويفهمه، ويتذوّقه، فيكشف غاياته وأهدافه.

وغاية أدب الأطفال لا تنحصر في إذكاء الخيال عند الأطفال وتوسيعه فحسب، بل تتعدّاه إلى تزويدهم بالمعلومات العلمية، والعواطف الدّينية والوطنية، ومدّهم بعادة التّفكير المنظم، ووصلهم بركب الثّقافة، والحضارة من حولهم، وأبرز مَهَمّة لأدب الأطفال هي تقوية إيمان الطّفل باللّه وحب الوطن، والخير والعدالة الإنسانية[2]. فأدب الطفل الناجح هو الأدب الذي يتجاوز متعة الطفل وتسليته إلى تربيته دينيا وعلميا وثقافيا واجتماعيا، والوصول به إلى التربية المتكاملة التي تحث عليها النظريات التربوية الحديثة.

إنّ النص الأدبي في جنسه الشعري أو النثري، المقدّم للطفل، لابد أن يحقق فيه كاتبه الأهداف التي من أجلها أنتج نصه، وكل كاتب لا يضع نصب عينيه أهداف نصه الأدبي للأطفال، هو كالذي يقدم الماء المالح للعطشان، الذي لا يروي من عطش، فالأهداف قصدٌ لتنمية اتجاهات الطفل العقلية والتربوية واللغوية والمعرفية، وليس بالضرورة تحقيق كل الأهداف في نص واحد، فقد تتكامل النصوص وتتظافر في طبيعتها لتحقيق المرغوب منها؛ بالتركيز على الشكل من ناحيته الفنية، وناحيته المادية المناسبة؛ وعلى المضمون من حيث صحته العلمية واللغوية ومواءمته الدقيقة للمرحلة الطفلية الموجه لها؛ وعلى التفاعل

---

[1]– إسماعيل عبد الفتّاح: أدب الأطفال في العالم المعاصر، ط2، مكتبة الدّار العربية للكتاب، القاهرة، 2004، ص:30.

[2]– محمد حسن بريغش: أدب الأطفال أهدافه وسماته، ط2، مؤسسة الرّسالة، بيروت، 1996، ص :104

والانطباع، فبهما نحتكم إلى نجاح النص الأدبي الطفلي أو فشله، فالتفاعل مع النص والإعجاب به كليا أو جزئيا على مستوى بعض الأفكار والمواقف، دليل على تحقق الأهداف.

ويمكن تحديد أهداف أدب الطّفل من وجهة النّظر التربوية في الآتي:

أ- **الأهداف الدينية والأخلاقية:** وهي في مجملها تبصّر الأطفال بالقيم الخلقية الفاضلة، وتنمّي إعجابهم وحبّهم للصّفات الطيّبة والأبطال الأخيار عن طريق ربطها بحواسهم وملاحظاتهم ومداركهم، ولا أحسن من ذلك من محبّة رسول الله صلى اللّه عليه وسلم والأنبياء والرّسل من خلال السيرة النّبوية للأطفال، وقصص الأنبياء المستمدّة من القرآن الكريم؛ وذلك لتحقيق التّوازن بين القيم الدّينية والروحية، مع وضوح الرؤية وأنْ لا تعارض بين الدّين والعلم، لأنّ الدين يحث على طلب العلم، والعلم يدعم الإيمان ويرسّخ قواعده[1].

ب- **الأهداف الثقافية والاجتماعية:** أدب الأطفال يقدّم المعلومات العامة والحقائق المختلفة عن النّاس والحياة والمجتمع وبخاصة في بيئة الأطفال أين يتعرّفون على مقوّمات المجتمع وأهدافه ومؤسساته؛ للكشف عن الحياة الاجتماعية للاندماج فيها؛ كما يقدّم المضمون العلمي والأفكار المقتبسة من العلوم الأخرى التي تربط الأطفال بالعصر الحاضر والتّطوّرات العلمية الحديثة، وتحقيق النّمو اللغوي عند الطّفل[2] في شكل القصص العلمية وغيرها. فضلا عن المضمون التّعليمي عن طريق المسرح المدرسي، ومسرح العرائس، والأناشيد والمحفوظات والقصص، وكلّ ما يخصّ الطّفل نجده مبثوثا في المناهج والمقررات المدرسية على اختلاف أطوارها، أضف إلى ذلك التدريب على الإلقاء الحسن وطلاقة اللّسان والشجاعة الأدبية.

ج- **الأهداف التّربوية والتّعليمية:** الأطفال عادة يتلقّون التّربية في المدرسة، أو على يد الوالدين ومؤسسات المجتمع الرّسمية وغير الرّسمية، والتربية المتلقّاة عن طريق الأدب ليست أقل شأنا من ذلك، فالأدب يربّي على الأخلاق الحسنة، وينمّي روح المبادرة، والقيام بالأعمال المفيدة، ويطبع الأطفال بطابع العزّة والكرامة والأنفة، وعدم الانحناء، كما يرسم الحياة بخيرها

---

[1]- انشراح إبراهيم المشرفى: أدب الأطفال مدخل للتربية الإبداعية، ط1، مؤسسة حورس الدّولية (د، ب) 2013، ص:37.

[2]- ربحي مصطفى عليان: أدب الأطفال، ص:67.

وشرّها، وأنّها سعادة بالخير، وعناء بالشرّ، وكلّ ذلك بالاعتماد على القرآن الكريم والسنّة النّبوية الشّريفة كمصدر أساس لهذا الأدب[1].

د- الأهداف التّرفيهية(التّرويحية): أدب الأطفال فنّ شائق، ووسيلة لشغل أوقات الفراغ لدى الأطفال بجلبه المسرّة والمتعة إلى نفوسهم، مع مراعاة القيم والمثل والاتّجاهات التي لا تعارض الدّين والأخلاق.

إن الطفل ميال بطبعه إلى التسلية والمتعة واللعب، وكثيرا ما ينفر من الرسميات التي تقيد طبيعته الفطرية؛ وهنا وجب استغلال ميل الطفل هذا؛ بتقديم الأدب الموجه له عن طريق الترفيه واللعب، وقد دلت التجارب على إقبال الطفل على ذلك وتعلقه بما مضمونه الترفيه والتسلية، وسرعة تقبّله له ورسوخه بسرعة في ذهنه، أكثر مما لو كانت تحمل طابع الجدّية. وتعتبر الأفلام الكرتونية والصور المتحركة أكبر داعم لهذا التوجه. ففضلا عن أهميتها التعليمية التربوية فهي وسيط ترفيهي بامتياز؛ لنقل احتياجات الطفل السلوكية بالترديد والتقليد والمحاكاة والتقمّص.

إن أدب الطفل وبخاصة في شكله القصصي والحكائي يريح نفوس الأطفال، ويغذي وجدانهم، وينمي خيالهم، بما يضيفه من بهارات البهجة والسرور، وقد يتحول أحيانا إلى وسيلة مقايضة لإرضاء الطفل حين يرفض بعض متاعه المفيد، وهو أسلوب تتبعه الجدات والأمهات، فيفرح ويتشوق ويقبل ما كان يرفضه، على أمل استقبال تلك الجرعة التي وُعد بها.

[1]- عبد الإله عبد الوهّاب العروادي، وهاشمية حميد جعفر الحمداني: أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، ط1، دار الرّضوان للنشر والتوزيع، عمّان، 2014، ص:21.